## افتعال الحبكة القصصية المعتمدة على المصادفة .

يجب أن يكون العمل القصصي مقنعا للقارئ ، حتى لا يخالجه شك في صدق العمل ، وهناك شروط كثيرة لابد للعمل من إحتوائه عليها ليأخذ سمة الصدق والاقناع في النهاية ، ومن أهم تلك الشروط عدم اعتماد البناء القصصي على المصادفة ، ففي اعتماد البناء على المصادفة في أكثر من جانب ، هذا من شأنه أن يخل بالعمل إخلالا مزريا ، ولا مانع أن تحدث المصادفة مرة أو مرتين أو لشخصية أو شخصيتين ، أما أن تكون أساسا من الأسس التي يعتمد عليها البناء ، وتعتمد عليه تلك الوشائج والأواصر التي تربط بين الشخصيات ، فهذا لا يعتد به ، لأن القارئ وهو بإزاء تلك المصادفات يتبادر إلى ذهنه سؤال : ماذا لو لم تحدث تلك المصادفة ؟ !

وهناك مصادفة مبررة أو مقنعة ، كأن يتقابل شخصان يعملان في مكان واحد ، وتنشأ بينهما علاقة من نوع ما ، أو يتقابل شخصان متقاربان في مزاجهما ويتم اللقاء في مكتبة عامة مثلا ، أو معرض للكتب أو التصوير ، أو ندوة أدبية أو في أي محفل من محافل الثقافة .

أما المصادفة غير المبررة ، كأن يتقابل شخصان ليس بينهما أي سابق معرفة وليس متقاربان في الطباع أو مشتركان في الميول ولا في وجهات النظر ولا أي شيء من هذا القبيل ، ثم يحدث بينهما تعارف وعلاقة قوية الأواصر ، فهذا يجافي المنطق أو يتعارض مع أساس من أسس البناء القصصي .

والبناء في ( ثلاثة رجال وامرأة ) و ( ميدو وشركاه ) يعتمد على المصادفة من النوع الثاني . فمعرفة ( حليم ) و ( عياد شركسي ) وابنته ( محاسن ) تمت مصادفة كما يقول الأستاذ ( حليم ) في صفحة ( ٥٣ ) ، ( كنت سائرا في الطريق وعيني على الأرض . وإذ بكف تلطمني . ولم يكد يتعمد ذلك لكنه - كما تبينت - كان يتحدث ويلوح بيده فأصابتني كفه . وأسرف في الاعتذار كما كان يسرف في التلويح بذراعيه . وأبى أن يسقيني شايا في مقهى وهكذا عرفتك أنت )

ومعرفة محمود وسميرة تمت هي الأخرى مصادفة أثناء جلوس محمود - ناسيا - تحت مظلة سميرة على الشاطئ . وحينما نبهته لذلك . هم بالانصراف ولكنها استبقته بحجة أنها حولها شباب يتحرشون بها .

والأغرب من هذا . أن بعد حدوث القطيعة بين سميرة ومحمود . تذهب سميرة لتتزوج ناظر الزراعة كيدا في محمود . وبعد ذلك يحدث لقاء بين ناظر الزراعة هذا ( حمدي الديناري ) ومحاسن في ديوان من دواوين القطار . وحينما تراه محاسن تشعر بالحب فجأة تجاه حمدى . ويتوطد الحب وينمو . وبعد أن يكاشفها حمدي بأنه متزوج من امرأة أغنى منه والعصمة في يدها . تتغاضى عن ذلك وتوافق على الزواج منه .

أما ما الذي جعل محاسن تركي القطار للسفر إلى الإسكندرية ؟ فالسبب واهن في الضعف . وهو ان ( نسيم بك ) طلب منها السفر إلى الإسكندرية لقضاء بضعة أيام للاستجمام . وطبيعة الأمور تقتضي أن يسافر ( نسيم ) مع ( محاسن ) ولا سيما وأن ( نسيم ) قد أسدى إلى محاسن خدمات لا حصر لها . وكانت قد شعرت بأن هناك شيء من الحب بدأ يشب في صدرها ناحية ( نسيم ) أما

ما الذي جعل ( حمدي الديناري ) يترك زراعته وزوجه ( سميرة ) ليسافر إلى الإسكندرية فلا ندري عن هذا شيئا سوى أن المؤلف قام بهذا كي يوفق بين محاسن وحمدي . ثم يحدث لقاء صدفة بين سميرة ومحمود فيغحدى المراقص ، وهو أن يتعثر محمود في إحدي الدرجات ويغمى عليه فتسارع سميرة إليه ومعها ( نسيم ) أما كيف تم التعارف بين سميرة و( نسيم ) كي يصحبها إلى المرقص، فلا ندري عنه شيئا هو الآخر ، ويتم في النهاية زواج محمود وسميرة ن بعدما تم زواج محاسن وحمدي الديناري !!

كذلك في ( ميدو وشركاه ) ، فاللقاء بين ( ميدو ) والدكتورة سارة ، واللقاء بين شاكر وخيرية يتم مصادفة . والعجب أن هذا اللقاء بين كل من الشخصيتين : ميدو وسارة وشاكر وخيرية يتم في مكان واحد ، والمصادفة تخلق أيضا أن سارة أخت شاكر ، وخيرية أخت ( ميدو ) . والشخصيتان – ميدو وشاكر – زملاء في الوحدة العسكرية .

## المعادلة الصعبة في ( ثلاثة رجال وامرأة ) :

الشخصيات في ( ثلاثة رجال وامرأة ) قلقة مضطربة تبحث عن شيء ولا تدري عنه شيئا ، أو هي بإزاء لغز مستغلق عن فهمها ، ولغزها هذا هو وجودها وحينما تعجز عن الوصول لحل هذا اللغز ن تبتعد عن الوجود ، حتى لا تشكل الشخصية مع وجودها معادلة صعبة ، فكيف يعادل الإنسان بينه وبين وجوده ، إن الانسجام منعدم ، والتفاهم شبه مستحيل ن فكل ما حول الإنسان يعترض طريقه وإرادته ، ويتحداه أن يعيش وجوده باحثا منقبًا منتظرًا أن تسوق المصادفة له ما يتمنى ، وإن لم يكن فعليه أن يحيا كيفما أتفق ، فهكذا هي الحياة !!

فالإنسان بداخله أحلام عن وجود مشرق وبكيانه من الإمكانات والطاقات ما يجعل هذا الحلم حقيقة . ولكن هذا لا يحدث أبدا . فلا الحلم تحقق ولا الطاقات التي بداخله تفجرت . إنه وجود محنط . يحمل كل أشكال الحياة الخارجية ولكنه ليس بحي . ساكن لا حركة به ولا حيوية . يقول المازني واصفا الأستاذ ( حليم )، صفحة (١٠) : ( وهو رجل يتمثل فيه " نقص القادرين على التمام " كما يقول بوالطليب . فقد كان محيط علم . وكان اسمى علمه فهما نجيبا . و ( لوذاعيا يرى بأول ظن آخر الأمر من وراء الغيب ) ومع ذلك أبى أن يكون أستاذا في الجامعة وآثر الإخلاد إلى الراحة . ولو شاء مع الراحة وخلو الذرع وانفساح الوقت لجاء الناس بجناه طيبة وثمار يانعة من شجرة علمه المحلال ن ولكنه ترك الخلفة واللحق من ثمرها يهمد في موضعه ولا يدري أو ينتفع به الناس . وكان ماله كافيا للسعة والخفض ونعيم البال . ولكنه كان يعيش عيشة الشظف والضيق كأنه مخفق مخفف من المال أو مسكين . وكان أخوف ما يخاف الفقر والحاجة . فهو يضيق على نفسه وأهله خشية الضيق ) .

فمؤهلات الأستاذ ( حليم ) العلمية تؤهله أن يكون أستاذا في الجامعة ولكنه فضل الراحة . مع طول إطلاعه وكثرة قراءاته . إذن أين الراحة هنا ؟ ولكن دائما الأمور مقلوبة . وهو في سعة ولكنه يعيش عيشة الشظف خشية الفقر . كل مواصفات الوجود الحق موجودة . ولكن لا انتفاع بالوجود ولا بالحياة .

وعلاقة ( حليم ) بزوجته توحي بعدم نضجها جنسيا . وإن كنا لا ندري كيف تم له معرفة ذلك . فقد أغفل المؤلف ذكر ذلك . ربما مجاراة للذوق العام في ذلك الوقت . أن لا يسهب المؤلف في مثل تلك الأمور . صفحة ( ١٠ ) : ( وقال لها حليم

لما انفض الجمع داخلا بها ( إنك مازلت طفلة . وسيكون عليك أن تعرفي الحياة وتفهمي معناها . وأنه ليسرني أني سأكون معك ) فأحست أن هذا تأنيب . فكأنه قال لها انه وجدها دون ما كان يتمثل . ومن أجل هذا يتكلف هذا التعليل لما تبينه من النقص . ولعل الأرجح أنه لم يكن يدرك – ولا هي أيضا – أنها غير ناضجة من الوجه الجنسية . وكان شعورها بنقص ما فيها يرتسم على وجهها حتى لقد قال لها بعد بوهين من زواجهما ، ( ألاَّ تستطعين أن تبتسمي لزوجك ؟ اتذكرنني ؟ أنني الرجل الذي شرفته بأن تكوني امرأته ).

ومع وجود هذا النقص في زوجه إلاَّ أنها تنجب ولدًا . ولكن بعد ذلك تأخذ عليه عهدا بألا يعاشرها جنسيا ؛ لأنها لا تريد الإنجاب مرة أخرى . فيحاول إقناعها بأن من الممكن المعاشرة بدون أن يسبب ذلك حملا . ولكنها أبت . ورضى الأستاذ ( حليم ) بهذا الوضع الغريب والشاذ .

أما السبب الذي حدى بالزوجة إلى تلك المقاطعة . فإننا نجهله . وإذا عرضنا حجة أنها غير ناضجة جنسيا فتلك الحجة باطلة . فهي انثى من قمة رأسها إلى أخمص قدميها . بدليل أنها أنجبت . فإذا ما ثبتت تلك الصفة عليها – أنها أنثى – فهي لا تستطيع الابتعاد عن الرجل إلا بشق الأنفس . لا سيما وهو زوجها وأمامها ليل نهار . ثم من قال أن غير الناضجة تكره الجنس هذا الكره العارم فكل ما في الأمر أنها لا تستطيع أن تأخذ القسط الوافر من المتعة . فهي تصاب بخيبة أمل . وهذا لا يمنعها من المحاولة مرة أخرى . إن لم يكن من أجلها فمن أجل حق الزوج على زوجته .

فتبري هذا التصرف الذي صدر من ( سميحة ) زوج ( حليم ) لا يستند لا على أساس نفسي ، ولا على أساس ( بيولوجي ) ، فصحتها النفسية والعضوية على ما يرام وطبيعية للغاية .

ولكن كيف يرضى ( حليم ) بهذا الوضع ؟

فإن احتمله نفسيا . فلن يستطيع – على المدى الطويل – احتماله جسديا لاسيما وأن زوجته أمامه ليل نهار ، وإن ما يطالب به حق له على زوجته . إلا أنه رضى بهذا الوضع الشاذ وسكن له ( ١٣ ) : ( من ذلك اليوم صار الأستاذ ( حليم ) كأنه مقيم في فندق لا يربطه بمن فيه غيره سوى الجوار ، وفقد لفظ الأسرة معناه والزواج مدلوله ، وانطوى الرجل على نفسه ، ولاذ بمكتبته ، وانزوى فيها ، ولم يقصر في منشدة سميحة أن تفئ إلى القصد ، وأن يفهمها أن إتقاء الحمل لا يقتضي هذا الذي هو فراق في حقيقته ، ولا يمنع ان يعيشا زوجين ، وإن كان لا محيد عن الحذر واتخاذ ما يشير به الطبيب من الحيطة الواقية . غير أنها أبت كل الإباء أن تكون له أكثر من جارة ، فقطع الأمل وأضمر اليأس ، وصار يشتم ولا يذوق ، ويشتهي ولا ينتهي له اشتهاء ، ويجزع على الحرمان ، ويضنيه جهد التصبر والتجلد ولا يجد السلوة وطيب النفس عن الزوجة العصية إلاَّ بالخيال يلجأ إليه ، والكتاب بين يديه أو على ركبتيه ) .

( ٦٠ ) :( فيزوده ويغني خياله بصور ما يتلهف عليه من المتع التي فاتته بعد أن ذاقها واستطابها واعتض ذلك مما حرمه ، على إغراقه في الرغبة فيه والطلب له حتى صار ذلك له عادة ودينا ) .

وخرج ( حليم ) من هذا المأزق ، أو أخرج الكاتب شخصيته من تلك الأزمة بأن جعل منه وجودا متكاملا ، وليس وجودا منقسما بين ذكر وأنثى ، فكيانه مكون من جزء ذكري وآخر أنثوى ، وإذا ما اشتهى الذكر الأنثى ، فهي موجودة معه في كيانه يقضى منها وطره ، فهو ليس في حاجة إلى أنثى خارجية عنه ، أو مستقلة عنه .

فهو – حليم – يريد أن يحتوي كيانه على كل مقومات السعادة والمتعة كي لا يشعر بفقدان تلك السعادة في حالة غيبة أو فقدان المصدر الطبيعي . ( ١٦ ) : ( كان يرى نفسه في منامه يلتقي بأنثى على صورته هو ، وكانت تشبه في كل شيء إلاَّ في الدمامة وفيما يتميز به رجل من امرأة ، فكأنها العنصر الأنثوي الذي لا يخلو منه كيان رجل قد انتزع وتجسد شرا ، وكأن الأستاذ ( حليم ) قد آخى بذلك إنسانين – واحدًا مكتملاً يجتمع فيه ويتسق عنصر الذكورة والأنوثة على نسبة ما في اليقظة ، وواحدًا ينشطر في المنام شطرين منفصلين ، ذكر وأنثى ، متحابين متواصلين متراضيين متوافقين على الاستغناء بنفسيهما عما عز مطلبه في حياة اليقظة ن وثقلت عليهما وطأة حرمانه ، فلا حاجة به بعد ذلك إلى تألف النافرة منه ، أو مراجعة المسكة عنه ) .

وتأمل معي آخر فقرة ( فلا حاجة به بعد ..... ) فلا تدري أبذلك ينتصر على وجوده الذي لا يستطيع تحقيقهمن خلال اتصاله الجنسي بزوجته ، أم هو ضعف من أن يجاهد ويصارع مع أي امرأة سواء كانت زوجه أو غيرها ، كي يرضي غريزته ويجد لشهوته مصرفا ، فأقنع نفسه بتلك الطريقة التي لا تخلو من غرابة وشذوذ وهو ان يتكيف مع وجوده ويحاول أن يكون موجودًا متكاملاً ، لأنه في اعتماده على

موجود آخر ليسد نقصه ويحقق سعادته ومتعته . هذا يعد في نظره نقصا . فليسد هذا النقص ويملأ هذا الفراغ بدون الالتجاء إلى (المرأة) .

ولكن هذا الوضع لم يرح الأستاذ ( حليم ) فهو يعتقد أن الإنسان مكون من عنصرين . الذكورة والأنوثة . وأن عنصر الذكورة يسيطر على عنصر الأنوثة . ويمتزج العنصران مكونان عنصرًا واحدًا . يمثل كيان الرجل . أما في حالته فالعنصران منقسمان على نفسيهما . وكل منهما مستقل عن الآخر . وخشى أن يؤثر هذا عليه لأن هذا في حد ذاته نوع من التصدع . خشى منه على نفسه . فهداه تفكيره إلى سلوك الطريق الصحيح – في رأيه – وهو أن يتصل بامرأة أخرى غير زوجته . بدلا من هذا الوضع الشاذ الذي يسلكه .

ونجد هنا المعادلة الصعبة . كيف يوفق حليم بين وضعه مع زوجته وبين متطلبات جسده كرجل . وهو لا يريد التزوج بأخرى . ولا يريد ان يلجأ إلى بائعات الهوى . إذن كيف للرجل أن يصرف شهوته ؟!

لقد قيد المازني شخصيته بالحبال وألقاد في البحر . وطلب منه محاولة النجاة . وكان تصرف حليم المنطقي – من وجهة نظره – أن يبحث في كيانه عما يسد به هذا النقص الحادث في كيانه ... ومثله في ذلك كمن يقطع جلد جسده ليجري عمليه تجميل في جزء آخر من جسده .

وبحث ( حليم ) فوجد محاسن ابنة ( عياد الشركسي ) وخطيبة محمود ووجد حليم في محاسن ضالته المنشودة . والذي طمأنها إليه وطمأنه إليها . أنه كبير السن . وأنها مازالت صغيرة . ومن يراهما سائرين يظنهما أبا وابنته . وحدث بينهما الكثير من القبلات . والمداعبات . فهذا يريحه مما يجد من ثقل وإلحاح

الغيزة المخنوقة ، وهي أيضا تجد راحة معه ، لأنها تنفس عما تجده من ضغط الغريزة عليها ، وظل الوضع هكذا إلى أن شعرت محاسن أنها لم تحض في شهرها وأسقط في يد حليم ، كيف حدث هذا ؟ ! وبعد لأي توصلا إلى علاج لتلك الأزمة التي كانت ستقضي على حليم .. وإلى هنا ينتهي تصاعد الأحداث مع حليم أو يتوقف تأثير حليم في أحداث القصة .

وتبدأ الأحداث مع (محمود) خطيب محاسن ، فقد كان على علاقة مع شخصية أخرى قبل محاسن ، وكانت تلك الشخصية هي ( سميرة ) ، والتي يتعرف عليها ويوشك على إتمام زواجه بها ، غير انه كان له أراء في مسألة الزواج فهو يؤمن ( ٢٤ ) : ( إن من المهانة أن يكون الزوج فقيرًا وامرأته غنية ، وليس معنى هذا أن على المرأة الغنية أن تنزل عن مالها لبعلها حتى يعتدل الميزان ، وإنما معناه أنه ليس مما يحفظ مروءة الرجل ويصون كرامته ان يتزوج امرأة لمالها ، وقد يكون هذا رأيا عتيقا ، ولكنه رأيه الذي يذهب إليه بدافع من إدراكه الخاص لمعنى الكرامة ) .

ويشاء قدره أن تكون سميرة هذه أعلى من مستواه الإجتماعي والمادي ويعارض والد محمود في زواجه من ( سميرة ) لغنى الفتاة من ناحية ، ومن ناحية تلهف الفتاة وقبولها لمحمود مع أنه عاطل وليس له من المؤهلات ما يجعل فتاة هذا شأنها من الغنى انتجري وراء محمود ، مع ان محمود كان يؤمن بأنه يجب ألاَّ يتزوج بامرأة أغنى منه ، إلاَّ أن الحب أوقعه في المحظور ، وكاشف محمود سميرة أن والديه لا يرضيان عن تلك الزيجة غير متكافئة الأطراف ، واستيقنت سميرة من ذلك حينما صادفت والدة محمود في المتجر ، وقالت سميرة لمحمود بعد ذلك لتعرف

رأيه ( ٤٠ ) : ( ليس يطيب لي أن أفسد ما بينك وبين أبويك ) إلاَّ أن محمود سفه رأيها هذا ، وأثناء زيارته لها لم يجدها ، فسأل أمها فأخبرته أنها سافرت ، فعجب وسألها لم لم تمنعيها فقالت ( ٤٢ ) ، ( يا حبيبي ماذا تريد ان أصنع ... إنه لا سلطان لي عليها ، وإن كنت أنا أمها ... وقد كنت أنت القادر على أن تمسكها ولكنك تركتها تطير ، بل حضضتها على الطيران ... هل تستطيع أن تقول لي لماذا يعرض أهلك في الزواج منها ؟ ولماذا ينفرون منها هذا النفور ؟ ودع أهلك ، لي أنت لماذا كنت تأبى كل هذا الإباء السخيف أن تدعها تنفق مليما ووهي معك ؟ أمن أجل أنك لست كفؤا لها في الثروة يجب أن تنزل هي عن كل ما ألفت وأن تروض نفسها على حياة الضنوكة إرضاء لك ؟ أليست هذه أنانية صارخة حمقاء ؟ كيف يمكن أن تعيشا معا راضين ناعمين إذا كنت تستكبر هذا الاستكبار المر المتعب ؟ أي حياة تكون حياتها معك ما خير مآلها إذن ؟ ماذا تفيد منه ؟ وتجئ تسألني أين هي ؟ ولماذا سافرت ؟ ضحرت يا سيدى طلقت ...اتفلقت ... أيقنت أن حياتها معك ستكون جحيما لها ولك ، ولأمك ولأبيك ، هل استرحت الآن ؟ هل فهمت يا غبي ، يا أعمى ، لشد ما خيبت أملي فيك ، أنا التي لم أزل أحتال حتى حسبتني ظفرت بك لها ، لا حول ولا قوة إلاَّ بالله ) .

وإن كانت طبيعة التكوين النفسي لمحمود تقتضي أن يكون هو البادئ يهجر سميرة ؛ لأن اتصاله وزواجه بها يتعارض وأرائه وأفكاره ، ولكن هو القلب وأحكامه التي لا تترك لأي شيء آخر معارضتها ، وتتزوج سميرة ناظر الزراعة ، الذي يعمل في أملاكها ، ونعرف بعد ذلك أنه زواج صوري فقط ، فالعصمة بيد الزوجة ، وسميرة

وحمدي زوجان أمام الناس فقط . ورضى حمدي بهذا لأنها أغنى منه بدرجات كبيرة .

ونلاحظ أن تصرف سميرة ليس مبررًا بالمرة . ولم يكن هناك استعداد نفسي أو ذهني لما ستفعله . فليس معنى أن والدي محمود ر يرغبان في زواجه من سميرة أن تذهب على الفور لتتزوج بآخر . فتلك فجوة نشعر بها ولا نستطيع تجاوزها . وإن أراد المؤلف لشخصيته في القصة أن تسلك هذا المسلك . كان من الأجدر أن يعطي لو لمحة بسيطة عن علاقة سميرة بناظر الزراعة هذا . حتى وإن كانت علاقة الخادم بسيدته لنقتنع بعد ذلك بما سيحدث .

وتدور الأحداث لتتصل محاسن ( بنسيم بك ) تلك الشخصية الهلامية الفضفاضة التي لا تستطيع أن تضع لها ملامح إنسانية بالمرة ... فهو ليس شخصية تسد فراغا . وإنما قل هو متكئا أو شيء هامشي لجأ إليه الكاتب ليساعده على أن يمتد بالأحداث وبتصرفات تلك الشخصيات مع الأحداث . وبعد أن تعمل محاسن لدى نسيم هذا وتظن أن هناك أطياف حب وأشباح غرام . يطلب نسيم من محاسن أن تقضي أسبوعا بالإسكندرية . منفردة بدون أن يصحبها . مع أن منطق الأحداث كان يقتضي أن يكون معها في هذه الرحلة . ولكن كيف ذلك والكاتب منذ البداية قد رسم مسلك شخصياته . فأراد من محاسن أن تسافر الإسكندرية مفردة كي تقابل ( حمدي الديناري ) ناظر الزراعة وزوج سميرة . وتنشأ علاقة حب من أول نظرة من طرف محاسن . حينما رأت حمدي في القطار لا لشيء . إلاَّ لأنه من كان ترسمه في خيالها . فهو الفارس الذي كانت تتمناه . وتحبه محاسن حبا

جنونيا رغم أنه قص عليها قصته مع سميرة ، وأنه لا يملك حتى حق تطليقها ، ومع ذلك أصرت محاسن على حبها ورضيت على زواجه منها .

وكما ساقت المصادفة محاسن التي هي أصلا خطيبة محمود غلى حمدي الذي هو زوج سميرة ، تسوق المصادفة أيضا محمود خطيب محاسن إلي سميرة زوجة حمدي ، ويلتقي محمود وسميرة في ملهى ليلي ، وتنتهي القصة تلك النهاية الساذجة ، لنؤمن في النهاية بمبدأ المصادفة والقدر في الوجود .

وإن كان سعي كل تلك الشخصيات سعيا حثيثا عن وجودها لتحل تلك المعادلة الصعبة بين وجودها الذاتي والوجود الموضوعي حولها ، ويجعلها تسلك في سبيل ذلك تجارب كثيرة تبوء بالفشل في أكثر الأحيان إلى أن تكلل في النهاية بالنجاح والفوز ، وتحل المعادلة الصعبة .